الفصل الرابع عشر

منهج تثقيف المراهق وتوجيهه وحل مشاكله الجسمية والصّحيّة

البحث الأول:

أثر ثقافة الأبوين على المراهق

إنّ ثقافة الأبوين عاملٌ هامٌّ مُؤثّر في عملية التّربية!.

إنّ أقلَّ حدود الثقافة القدرةُ على القراءة والكتابة، ثم الحصول على الشّهادات الدّراسية المرحلية، والمراد بالثّقافة ما هو أشمل من ذلك وهو الثّقافة العامّة الضّروريّة التي يجب أن تتوفّر في كلِّ أبٍ وأمٍّ، ليسلمَ بناءُ الأسرة ويقوى، وأهمُّ موضوعات هذه الثقافة، العمل إجمالاً بالحلال والحرام والواجب والمندوب والمباح والمكروه من الأفعال والأقوال، والعمل بالواجبات والحقوق المتبادلة بين الزّوجين، وحقوق الأولاد وأساليب التربية العلمية، والعلم بأهميّة توفر القدوة الصّالحة في الوالدين، والتزام الأخلاق الفاضلة، كالصدق في القول والمعاملات، والوفاء بالعهد، وحفظ السّرّ وغير ذلك من أصول الثقافة العامّة والأخلاق الكريمة.

إنّ الثّقافة العامّة وأساليب التّعامل الدائمة في البيت والأخلاق السائدة فيه عوامل أساسيّة في سلوك المراهق ومشكلاته.

البيت والتّربية:

إنّ وظيفة البيت التّربويّة لها أهمّيتُها وضرورتها ولها تأثيرها الظاهر في سلوك المراهق، فإن مرحلتي الطفولة والصِّبَا تتشكّل فيهما المقوّمات الأساسيّة للشّخصية في المراهقة، فالبيت المُتّسِمُ بالهدوء والسّكينة المنتظم في سلوكه العام، فلا تغيب

فيه السلطة الأبوية أو تضطرب، الذي يستقيم فيه التّعامل على نمط إسلامي صحيح، فتسوده المودّة والمحبّة ويعيش فيه الأبناء حياة هادئة سوية لا شطط فيها ولا انحراف تمكن المراهق من التغلّب على مشكلاته، أما إذا اضطرب سلوك الوالدين، أو اضطرب أسلوب معاملتهما للأبناء، أو فضّل أحدهما أو كلاهما بعض الأبناء على بعض - ذكوراً أو إناثاً - أو مال أحدهما أو كلاهما إلى القسوة والعنف والصّخب، أو مال أحدهما أو كلاهما إلى التدليل، أدّت هذه الأساليب إلى كثرة المشكلات السّلوكية في المراهقة وعسر تخليص المراهق من نتائجها السّلبية.

إن التأديب أو التهذيب أداة المجتمع لتنشئة الصّغار على السّلوك الأخلاقي الذي تفرضه الجماعة، وإنّه العملية التّربويّة لتدريب وتنشئة الصّغار التي تساند النّموَّ والارتقاء، وإنّما يلزم التأديب لتقويم اعوجاج النّموّ أو انحراف سيره عن المقنن أو المعيار.

لقد أثبتت الدراسات أن العقاب الذي لا يتعدى حدود الاعتدال المناسب لكل مرحلة نمائية: أنّه يقوي ميول الفرد إلى السلوك على النّموّ الذي ينشده المجتمع.

إنّ التأديب السلبي يُعوّق نضج الفرد بقدر ما يساعد التأديب الإيجابي على هذا النّضج، وما دامت الوظيفة الأساسية للتّأديب والتعويد على تقبّل آدابٍ لا بدّ منها والمساعدة على توجيه طاقات الصّغير إلى ما يُفيد المجتمع الذي تنعكس عليه الفائدة منه، فالتّأديب يُحقّق هذا الهدف أكثر نجاحاً بالإيجابية أكثر من السّلبية[1].

إنّ البيتَ ركيزةٌ أساسيّة في تربية الفرد في جميع مراحل حياته وعليه يقع الجزء الأكبر من المسؤوليّة في شذوذ وانحراف المراهقين وعليه يقع الجزء الأكبر من نتائج الانحرافات السّلوكية، فهو أوّل من يتلقى طعنات الانحراف، وإن أقسى الطّعنات تتمثّل في عقوق الأبناء للوالدين، وقد غدا سمةً ظاهرة في العصر الحديث.

إنّ افتقارَ البيت المسلم في المجتمع المعاصر إلى الأصول العامّة للثّقافة والتّربية الإسلامية قد أوقع المراهقين والشّباب فريسة للاتّجاهات السّلوكية

(١) النمو التربوي للطفل والمراهق، د. كمال دسوقي.

والفكرية المنحرفة، ومن هنا يظهر أهمية العمل على الارتفاع بمستوى ثقافة الآباء والأمهات.

إنّ أول ما يُلفت النّظر في الشّباب الإسلامي اليوم انفلاته بوجهٍ عامٍّ من قيود جميع شؤون الحياة الفردية والشّخصية والعامّة. ولسنا في حاجة إلى ضرب الأمثال وسوق الحوادث الدّالّة على صحّة ما نقوله، ولعلّ فيما نشاهده وما نُعانيه من انتماءات عقائدية في صفوف شبابنا، ما يُفسّر لنا فراغ أذهانهم من كل معطيات فكرية إسلامية سابقة.

إنّ الشّباب - من الجنسين - يفتقر إلى المحضن الإسلامي الأوّل؛ إلى أمهات ومربيات مسلمات، يبدأن بتعليم الطفل الاستفتاح بالبسملة والاختتام بالحمد، ويُعلمنه الصّلاةَ، ويسبقنه إلى أدائها، ويُدربنه على التّقوى، ويبتعدنَ به عن الخنوع والذّلّ والميوعة والتّخنّث[1].

البحث الثاني:

توجيه المراهق نحو الألفة والمحبّة الاجتماعية

إنّ القرآن الكريم يُنظِّمُ أفعالَ المراهق وعلاقاته بأفراد المجتمع، ويُزوّده بالقُدرة على مشاركة الناس فيما يحسون من أفراح وأحزان، وهذه القُدرة من أهم العوامل التي تُمكّنه من ملائمة نفسه مع البيئة الاجتماعية التي يعيشُ فيها.

عن النّعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطفِهم مَثَلُ الجسد الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسّهر والحُمَّى**»[2].

---

(١) الإسلام ومشكلات العصر، د. مصطفى الرافعي.

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

فالمراهق المسلم في مجتمعه مثله كعضوٍ في فردٍ، ولا يخفى أنّ إصابة جزءٍ منه يتأثّر به الجسد كلّه وينفعل له، وهي لفتةٌ للمسلم كثيراً ما يشده الإسلام إليها ويُذكّره بها، وربّما استوعب ذلك جميع المعاملات الجماعية، فهي حاجز للأنانية وحبّ الذّات، وهي في الوقت نفسه تُذكّر المعتدي بالألم الذي ينبغي أن يشعر به نتيجة اعتدائه على أخيه، فعليه أن يشارك في ألمه، ويسهر لما أصابه، وهو حاجز داخلي مانع للمراهق من إيقاع الضّرر بأفراد المجتمع المسلم.

إنّ التّربية الاجتماعية في القرآن الكريم تتمثّل في تنشئة الفرد وتكوينه على درجة عالية من النّاحية الأخلاقية، ليصبح مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر في كل وقت وحين، وتُطهّر نفسَ المراهق من جميع الرّذائل الأخلاقية وتُقوي فيه دوافعَ العمل الصّالح، ولا يتحقق ذلك بدون تنمية الإدراك الخُلُقي والسّلوك الاجتماعي، ليتسنّى له معرفة حكمة المبادىء الأخلاقية، وليتمكّن من التمييز بين السلوك الخيّر والسّلوك الشّرير، والواقع أنّ ما سنّه القرآن الكريم، وسنّه رسول الله ﷺ، من أخلاقٍ زاكية عاليةٍ، ومبادىء اجتماعية راقية لا تدانيها أيّ نظريّة تربويّة قديمة أو معاصرة، لأنها تقيم أصولها على العقل البشري والموروث من العادات والتّقاليد، ولا تهدي بنور الوحي وهو عين ما تميزتْ به التّربية الإسلاميّة.

أثر الوالدين في النّمو الاجتماعي في المراهقة:

إنّ الأبَ والأمَّ مسؤولان عن تربية أولادهما، كما أنّ صلاح أولادهما مرتبطٌ بصلاحهما، فإذا حادَ الأبُ أو الأمُّ عن صراطِ الله المستقيم الذي رضيه لعباده، تبعهما أولادهما، فعليهما وزر عمل أولادهما، وإنّهما لا يتحملان وزر أولادهما إذا ما صلحا، وقامَا بواجبهما من الرّعاية والعناية والتّربية الصّحيحة لأولادهما.

إنّ الحياة المنزلية مليئةٌ بالمواقف التي يكتسب فيها المراهق ميوله وعواطفه واتجاهاته، فإذا كان الجوُّ المنزليّ يسوده الحبُّ والعطفُ والهدوء والثّبات، فإنّ المراهق يشعر بالاطمئنان والثّقة في نفسه، فيبدو عليه مظهر الاستقرار والثّبات، وإذا

كان الجوّ المنزليّ مشحوناً بالمنازعات واضطراب العلاقات بينَ أفرادها انعكسَ ذلك على سلوك المراهق، فيبدُو الاضطرابُ وعدم الثّبات في سلوكه ويسوء تكيّفه مع نفسه ومع أفراد المجتمع.

إنّ الإسلام يُوجب على الآباء والأمّهات أن يبذلوا جهودهم المتواصلة لتهذيب مشاعر المراهقين من أبنائهم وتقويم طباعهم، وتعويدهم على ممارسة العادات والآداب الاجتماعية، ليكون ذلك عوناً لهم على التّكيّف السّويّ مع أفراد المجتمع.

إنّ قيام الآباء والأمّهات بواجباتهم نحو التّربية الاجتماعية والأخلاقية للمراهق يكفل إقامة مجتمع إنساني هادىء، تسوده عواطف المودة والمحبة، وتنمحي منه مظاهر الغرور والكبر والأثَرَة والأنانية وحب الذّات، وتستقر فيه الأوضاع، وتسمو فيه العلاقات، وتبدو فيه شخصيات المراهقين متّزنة هادئة، تتفاعل مع العلاقات الاجتماعية بحماس فقط.

إنّ مكان الأب على رأس الأسرة وقيامه بدور القيادة الحقيقية والتوجيه لكل أفرادها إنما هو مسؤولية خطيرة في استقرار الأسرة، وقيامها كخليّةٍ سليمة في بناء المجتمع المسلم. فالأب هو الذي يضع أسرته في المجتمع، ويحدد موقف أفرادها ودورهم في البناء الاجتماعي ويظل دور الأب في المنهج القرآني الكريم سليماً لا تهزّه التيارات الفاسدة، لأنّه قائم على قيم ثابتة ومعايير سلوكية محددة، يؤصلها الإسلام بمنهجه التّربوي حتى لا يفقد دوره في الضّبط الاجتماعي وتوجيه الفكر والسلوك.

إنّ رسالة الأُمّ التّربويّة لا تقل أهميّةً عن رسالة الأب، فعلى الأم أن توالي نصائحها لأبنائها في جميع مراحل نموّهم، وأنْ تستمرَّ في إرشادهم وتعويدهم على خصال الخير لتقدم للمجتمع أعضاء صالحين قادرين على تولّي مسؤوليّتهم في المجتمع.

البحث الثالث:

معالجة سوء اختيار الصاحب والرفيق لدى المراهق

يرتبط المراهقُ ارتباطاً وثيقاً بمجموعة النّظراء «الشّلة» فيسعى إليها سعياً أكيداً، ويُكافح في سبيل تثبيت مكانته بها، ويتبنى قيمها ومعاييرها ومُثلها السلوكية ويتّجه إليها. قبل غيرها من المجموعات الأخرى - بوجدانه وعاطفته وولائه، ذلك أنّ المراهق يشعرُ في وسط إخوانه بالمشابهة والمجانسة، وبوحدة الأهداف والمشاعر كما يشعر في الوقت نفسه بالهوة الواسعة التي تفصل بينه وبينَ الكبار في كثير من الأحيان.

هذا ويزداد استمساك المراهق بالشّلة كلّما بعدت مادة المدارس التقليدية عن خبرات الحياة الواقعية وحاجات النّموّ في المراهقة، وكذلك كلما بعدت المسافة بين المراهق ووالديه في الأسرة، وتعذّر عليه أن يُناقشهما في أموره وأحواله. ومن أمثلة الموضوعات التي يتعلمها المراهق في الشّلّة، ولا يكاد يسمع عنها شيئاً في المدرسة أو الأسرة، الموضوعات المتعلقة بالنمو الجنسي وعلاقات الجنسين، وهي في مقدمة الموضوعات التي تصيب اهتمام المراهقين في تطورهم نحو الرجولة[١].

والسبب الذي يدعو المراهقَ إلى الانسجام في الجماعة التي ينتمي إليها في أول مرحلة المراهقة، محاولته تجنّب كل ما يؤدّي إلى إثارة النّزاع بينه وبين أفراد هذه الجماعة، وهو إذ يفعل ذلك يرى أن أي نزاع بينه وبينهم يعتبر في منزلة ثانوية بالنّسبة للنزاع الأكبر الذي يقوم بينه وبين السلطة المدرسية والوالدية، ومن ثم يكون في احترامه لرأي شلّته وإخلاصه لهم وخُضُوعه لأفكارهم نوع من تخفيف الشعور بالإثم النّاجم عن عدم طاعته لوالديه ومعلميه ومدرّسيه[٢].

---

(١) النمو النفسي للطفل والمراهق، ص: ١٦٨، د. محمد مصطفى زيدان.

(٢) علم النفس أصوله وتطبيقاته، ص: ٣٢٢، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ص: ٢٣٦، د. محمد مصطفى فهمي.

إنّ ولاء المراهق لأسرته أسبق من ولائه لجماعة الأقران، وإنّ ولاءه لأسرته أقوى وأثبت من ولائه لجماعته التي ينتمي إليها في كثير من الحالات، قد يكون ولاؤه لها وحصره على مسايرتها في اتجاهاتها وقيمها - بالمستوى الذي أشارت إليه الدراسات النّفسية السّابقة - لا يعدو أن يكون محاولة من المراهق لإشباع الميل للاجتماع الذي افتقده في محيط الأسرة، ولا أدل على قوة ولاء المراهق لأسرته من غضبه وثورته إذا ما حاول أحدُ الأقران النّيل من الأسرة أو التّعريض بها، ويدرك أفراد الجماعات قوة هذا الولاء فيتدخلون لفضّ النّزاع، ويقرر الجميع استبعاد الأسر من موضوعات نقاشهم وحوارهم ويرفضون قبول التّعليق على أيّ نمط سلوكي خاصٍّ بأيّ أسرةٍ وإن يكن بالإشارة لا بالتصريح، لما يجدونه من وجوب الاحترام لهذا النّظام النّفسي الذي يربط المراهق بأسرته على الرغم من شعور الغالبية بأنّ الأسرة لا تقدّر الطور النمائي الذي درجت إليه شخصية المراهق.

لقد كشفت الدّراسات السابقة عن خطورة الموقف السلبي للأسرة ممثلاً في تجاهلها لخصائص النّمو في المراهقة، مما يُعرّض المراهق للانحراف بالانتماء إلى جماعات منحرفة جانحة للسّلوك الشّاذّ الذي لا يقيم وزناً للخلق والفضيلة.

أمّا ما يتعلّق بالموضوعات المتعلّقة بالنّمو الجنسي وأنواع العلاقات بين الجنسين، فإن القرآن الكريم والسّنّة المشرفة قد عالجا هذه الموضوعات بحكمة بالغة، وأسلوب عالٍ رفيع يجمع بين البيان والوضوح والسمو وعدم الإثارة لمستور الفطرة ومكنونها، وهي أُسسٌ هامّة يجب أن تعتمد عليها الدّراسات النّفسية التي تعنى بالدعوة إلى التّربية الجنسية لأبناء هذه المرحلة.

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1]. إنّ غضَّ البصر أدبٌ ذاتي يتحلّى به المراهقُ في المجتمع المسلم، وهو وسيلة للحيلولة دون إثارة الدافع الجنسي، وقد أمر الله المؤمنات في

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

المجتمع المسلم بغضّ البصر وعدم إبداء الزينة لغير المحارم، لكي يبقى الدّافع الفطري كامناً - لا يُثار بين لحظةٍ وأخرى - حتى يحين الوقت المناسب لتلبيته بالزّواج الذي أحلّه الله سبحانه، وجعله الطّريق المشروع لتلبية هذا الدّافع في نفس الرّجل والمرأة.

إنّ امتثال المراهق بهذا الأدب الذي يعتبر صمام الأمان طوال هذه المرحلة يساعده على تخطيها في أمان وسلام، حيث إن طبيعة التّطور النّمائي للمراهق طوال هذه المرحلة لا يؤهله للزّواج، بغضّ النظر عن العامل الاقتصادي وإن توفر في هذه المرحلة.

الرغبة في تأكيد الذات:

كلما أخذ المراهقُ في النّمو، بدا على سلوكه الرغبةُ في تأكيد ذاته، فهو في نظر نفسه لم يعدْ بعدُ الطفلُ الذي لا يباح لهُ أن يتكلّم أو يسمع.

إنّ المراهق في منتصف مرحلة المراهقة يسعى أن يكون له مركزٌ بين جماعته ولأجل أن تعترف تلك الجماعة بشخصيته، فإنّه يميل دائماً إلى القيام بأعمالٍ تلفتُ النّظرَ إليه، ووسائله في ذلك متعدّدة، فهو تارة يلبس ملابس زاهية الألوان والمصنوعة على أحدث طراز، كما يُحاول التّصنّع في طريقة كلامه وضحكه ومشيته، أو يُقحم نفسَهُ في مناقشات تكون فوق مستواه ويطيل الجدل فيما يكون بعيداً كل البُعد عن خبراته، وهو لا يفعل ذلك عن عقيدة، بل حُبّاً في المجادلة والتّشدّق بالألفاظ الرّنّانة[1].

إنّ اعتبار هذه المظاهر السّلوكية بأنّها من خصائص النّمو الاجتماعي للمراهق فيعتاد على السّلوك الاجتماعي المنظّم الذي ينتهجه كثير من المراهقين خلال هذه الفترة العصيبة.

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، د. محمد السيد الزعبلاوي.

الرغبة في مقاومة السلطة الأسرية:

من المميّزات في سلوك المراهق الرّغبة في مقاومة السّلطة، وهناك من الأسباب ما يدعو المراهق إلى الثورة ضد السلطة ممثلةً في الأسرة والمدرسة والمجتمع العام.

وتكون الثورة ضد السلطة الوالديّة واضحةً، لأنّ المراهق يتشوّق إلى أن يجد نفسَه في عالم آخر خارج البيئة المنزلية، عالم مليء بالأصدقاء والزّملاء، عالم مليء باتّجاهات جديدة وبالحرية والاستقلال والتّحرر من التّبعية الطفيلية، وهو إذ يتطلع إلى كل ذلك، يرى والديه ومُدرّسيه عقبةً كؤوداً في سبيل تحقيق أمنيّتِهِ.

وتأخذ مقاومة السّلطة، على مستوياتها المختلفة، مظاهرَ عدّةً: ثورةٌ وتمردٌ واحتجاجٌ وغضبٌ وتهديدٌ بالهرب من المنزل، أو محاولة إيجاد عمل وترك الأسرة، والتطوّع في سلك الجندية، وتكون الفتيات أقلَّ مقاومةً من الفتيان لتقاليد الأسرة[1].

هذه المظاهر السلوكية ليست عامة وليست دائمة، فهي تحدث في الحالات التي يضطربُ فيها نظام السّلطة المنزليّة، وفي حالة الجنوح إلى الشّدّة والعُنف في غير موجبٍ، أو التّدخّل المباشر في الشؤون الخاصّة بالمراهق بأسلوب لا يتناسب مع مستوى نموّهِ، أو معارضة مُيوله ورغباته المعتدلة حيث يشعره ذلك بعدم الاهتمام به، على أنّ ثورة المراهق واحتجاجه لا تدوم طويلاً حتى يعود إلى حالةٍ من الودّ مع السّلطة الوالديّة، كما أنّ هذه المظاهر السّلوكية لا تحدث من جميع المراهقين حيث إن كثيراً منهم يُقدّر قيمةَ الضّوابط التي تسنُّها السّلطةُ الوالدية، وإن بعضَ المراهقين لا يلجأ لمثل هذه المظاهر السّلوكية رغم ما يُعانيه من الإهمال والعُنف في المعاملة، خصُوصاً في حالة عدم وجود أحد الوالدين، ولهذا فإنّ اعتبار هذه المظاهر السّلوكية خاصيّة من خواصّ المراهقة أمر تعوزُهُ الدّقة أو الدليل القاطع، وهذا ما لم يثبتْ بعدُ.

وإذا كان تقدير المراهقين لسلطة الوالدين في هذه الفترة من النّموّ بوجهٍ عامّ، فإنّ تقديره للسّلطة من غير الوالدين يقل حتى بنسبة أكبر، فقد لاحظنا لدى التّدريس مثلاً

(١) علم نفس الطفل والمراهق - ١٠٤، صبحي المعروف.

أنّ المراهق ينتقد مدرّسيه أكثر ممّا ينتقد والديه. على أن قلّة البحوث في هذا المجال يجعل من الصّعب الوصول إلى تعميمات موثوق بها. فلا يزالُ هناك مجالٌ كبير للبحث في هذا الموضوع[١].

إنّ الأسرة المسلمة تسود حياتها المودة والمحبة والرحمة والعطف، وإنْ حدث أنِ اشتدّ الوالد أو قسَا لحظةً في مرة أو مرات، فإن هذا لا يغيّر من طبيعة الحنان فيه شيئاً، ولن يشتدَّ الوالد المسلم في غير موجب وعند ذلك تكون حيدة المراهق عن السّلوك المستقيم السّبب المباشر لموقف الوالد، وينتهي الموقف بمعرفة المراهق عدم صلاحية السّلوك الذي صدر منه.

وطبيعي أنّ المراهق الذي يعيش في نطاق أسرة ترعى مطالبه ورغباته وحاجاته، وقد ساد الوئام والمحبّة بين أفرادها، ويُضحي كلُّ فردٍ من أفرادها لأجل الآخرين، إنّما يختلف في موقفه عن المراهق الذي يجدُ نفسَهُ في أسرةٍ لا ترعَى حاجاته، ويشيع الكُره بينَ أفرادها وتسيطر الأنانية على قلوبهم. إنّ المراهق الأوّل يتفاعلُ مع الجوّ النّقي الذي يسود أسرته، بينما يستنشق المراهقُ الثّاني الجوَّ الفاسدَ الذي يضرب بأطنابه في ربوع أسرته.

إنّ الأبَ المسلم يُقدِّرُ عِظَمَ التّبعة المُلقاة على عاتقه، فالأبناء والبنات أمانةٌ استرعَاهُ الله عليها، وهو لهذا مسؤول عن تربيتهم وهدايتهم وتعويدهم كريم الخصال، كما هو مسؤول عن توفير حاجاتهم ومطالبهم المادّيّة، ومسؤول عن إشباع حاجاتهم الوجدانية النّفسيّة. والإسلامُ لا يقبلُ أن يُوجه الآباءُ جلَّ اهتمامهم لإحدى هذه المجالات دونَ الأخرَى، لما في ذلك من أثرٍ سلبي على الباقي.

إنّ السّلطة المنزليّة ممثلةٌ في الأبِ أوّلاً، ثم الأمِّ سلطة عمادها الرحمةُ والعطفُ والحنانُ والحبُّ، والرّعايةُ الدائمة للأبناء والبنات، وقد تضطرُّ هذه السّلطة الجادّة أن تشتدَّ أو تقسوَ لتكبحَ جماح المراهق إذا ما شذَّ في سلوكه وتصرفاته، تهذيباً لسلوكه، وتقويماً لطباعه، وقد أثبتت التّجارب أن غياب الأب عن التّوجيه والتّربية يفسحُ

(١) مبادىء علم النفس، ص: ٨٤، د. مختار حمزة.

المجالَ أمامَ جماعةِ الرّفاق للانحراف بالمراهق والتأثير عليه. فقد دلّت الأبحاثُ على أنّ درجة اعتماد المراهقين على رأي زملائهم أو تأثّرهم بتوجيههم تختلفُ باختلاف مدَى ونوعِ الاهتمام الذي يتلقَّونَهُ من الوالدين.

فالمراهقون الذين يفشل آباؤهم في توفير ما يحتاجون إليه من حبٍّ ورعايةٍ، أو الذين يفتقدون آباءهم لتغيّبهم عن المنزل بسببٍ أو بآخر، هؤلاء المراهقون يكونون أشدَّ ميلاً إلى الاعتماد على جماعةِ الرّفاق لإشباع حاجاتهم الانفعالية. وفي دراسة قام بها بعض الاختصاصيين في علم النفس حيث جرت مقارنة بين مجموعة من المراهقين الذين يعتمدون في توجيههم أساساً على رأي الكبار المحيطين، وقد أسفرت هذه المقارنة على اكتشاف فروق كبيرة بين اتجاهات الوالدين نحو أبنائهم في كلتا الحالتين، فاتجاهات آباء المراهقين الذين يعتمدون في توجيههم على الرّفاق كانت تتسم بالإهمال السّلبي. أما المجموعة الأخرى فكانت اتجاهات آبائهم تتسم بالاهتمام أو الرعاية الإيجابية[1].

لقد قرر القرآن الكريم مسؤولية الآباء هداية أبنائهم وجعل ذلك ضمن مسؤوليتهم عن هداية أنفسهم، ليقطع السّبيل أمام التّوجيه المنحرف من جماعة الرفاق أو غيرها.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2].

البحث الرابع:

معالجة مشكلات المراهق الجسمية والصّحية

إنّ مشكلات المراهقين الصّحيّة والجسميّة ترجع إلى أسبابٍ كثيرةٍ وسوف أكتفي

(١) مبادىء علم النفس، ص: ٩١، د. مختار حمزة.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

بتناول الأسباب الرئيسة ذات التأثير المباشر في هذا النوع من المشكلات في مرحلة المراهقة خاصّةً وغيرها من مراحل العمر.

مشكلة انخفاض مستوى دخل الأسرة:

تُعاني كثيرٌ من الأسر في المجتمع المسلم من انخفاض مستوى دخل ربِّ الأسرة وعدم كفايته بحاجاتها اليومية، وهذا من أهمّ الأسباب التي تكمنُ وراءَ مشكلات المراهقين الجسمية والصّحيّة حيث لا يسمح انخفاض الدَّخل بتنوّع الغذاء اليومي واشتماله على مجموعات الغذاء الرئيسية، وهي مجموعة الحليب، اللّحوم، الفواكه والخضراوات، الخبز، السّكريات، الدّهون والزّيوت، وهذه المجموعات ضرورية لبناء الجسم بناءً متكاملاً في هذه المرحلة بالذّات نظراً لكثرة متطلباتها النّمائيّة.

إنّ عدم الغذاء يُؤدّي إلى زيادة في نسب بعض المواد وانخفاض نسب مواد أخرى، حيث يختزن الجسم الغذاء ويهدر البعض الآخر دون الاستفادة منه، وقد تنخفضُ نِسَبُ مواد ضروريّة لوقاية الجسم من الأمراض، وبذلك يضعف جسم المراهق عن المقاومة إذا ما هوجم بواسطة أحد الفيروسات أو الجراثيم.

وممّا لا شكَّ فيه أن عدم تلبية احتياجات الجسم من جميع العناصر الغذائية الأساسيّة اللازمة له يُسبب ظهور أعراض بسيطة ثم بعض الضّعف والهُزال ثم أعراض مرضية صريحة.

قد يكون سوء التّغذية نتيجةً للفقر أو عدم إمكانية الحصول على الغذاء الصحي كما يحول انخفاض الدَّخل دون توفير المسكن الصّحي اللازم لأفراد الأسرة، ولهذا فإنّ مهمة الدولة أن تعمل على زيادة دخل الفرد باعتباره الدّعامة الأساسيّة لتحقيق المستوى الصّحي المناسب واللائق لأفراد المجتمع، وعلى الجهات المسؤولة في قطاعات الدّولة وضع خُطَطٍ للتنمية في مجالات الزّراعة والصّناعة والتعمير لتحقيق المطالب الأساسية للفرد والجماعة.

لقد أوجبَ الله سبحانه وتعالى على الأغنياء من المسلمين فريضةَ الزّكاةِ وجعلها

حقّاً واجباً عليهم يردُّ على فقرائهم لسدّ حاجاتهم ورفع مذلّة السّؤال عنهم، وهذا موقوف على شرطين:

الأوّل: أن يلتزم الأغنياء بإخراج الزكاة الواجبة في أموالهم.

الثّاني: أن يُحسن توظيف هذه الأموال، وذلك بأن يتمّ توزيعها وفق نظام يسمح بتوزيع جزء منها لسدّ نفقات الفقراء والمحتاجين والمعوقين، وجزء آخر تستعين به الأسرة الفقيرة والمحتاجة في إنشاء أعمال مناسبة لبعض أفرادها، كحياكة الملابس أو تجارة محدودة يؤمل أن تدرَّ ربحاً يكفيهم حاجاتهم ويدفع عنهم مذلّة السّؤال، وبذلك تتحوّل بعضُ الأسر إلى أفراد منتجين يشاركون في نهضة مجتمعهم، فالزّكاة بهذا تعتبر عاملاً هامّاً مساعداً للدولة في مهام التنمية العامّة.

إنّ فريضة الزّكاة لا يقف أثرها في الحياة الاجتماعية عند هذا الحدّ، بلْ إنّها عاملٌ هامٌّ في توفير الكثير من الحاجات الغذائية الضّرورية للإنسان، حيث إن هذه الفريضة واجبة في جميع العناصر الغذائية الأساسية اللازمة للإنسان.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1].

اختلف المفسرون في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنّها نزلت بالمدينة، وأنّ قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ يعني الزّكاة الواجبة، وذهب آخرون إلى أنّها نزلت بمكة، وأنّها في الصّدقة، والظّاهر أنّها نزلت بالمدينة لاشتهارها بزراعة التّمر والعنب وأنواع أخرى من الزّروع والثّمار، وأن مكّة لم تكن بها زراعة نظراً لطبيعة أرضها الجبلية وقلّة مياه العيون والآبار، والذي يعنينا القاسم المشترك بينَ القولين، وهو أن الله تعالى حقاً يخرج عن صالح ما يُقتات به فيُوزّع على الفقراء وغيرهم ممّن ذكروا في آية الصّدقة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١

وقد جعل الله تعالى من الشعائر ما يُعين الفقراء على سدِّ الحاجاتِ الضّروريّة للجسم من مجموعة اللّحوم.

قال الله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ . . .﴾[1]. قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

مشكلة انخفاض مستوى نظافة البيئة:

إن نظافة البيئة تُساعد على سلامة الجسم وصحّته العامّة، وإنّ انخفاض مستوى النّظافة يسمح بانتشار الأمراض المعدية وغير المعدية، ذلك أنّ تراكم القمامة والفضلات وانتشارها في مواضع كثيرة في شوارع المدينة والقرية وفناء المدرسة يُعدُّ محضناً أساسياً للجراثيم والذّباب، ويُساعد على تكاثرها بأعداد هائلة تزعج المقيمين والمارة وتجرّ عليهم الأمراض المتنوّعة.

مشكلة ضعف مستوى الوعي الصحي:

إنّ الوعي الصّحّي وتربية العادات الصّحّيّة أمران يفتقر إليهما كثير من الأُسَرِ في المدن والقرَى بصفة خاصة، فلا يزال عددٌ كبيرٌ من متقدّمي السّنّ وغيرهم يُمارسون عاداتٍ سلوكيّة سيّئة، كتناول الطّعام دون غسل اليدين والتأكّد من نظافتهما، كما لا يجدون غضاضةً في استعمال بعضهم للأدوات الخاصة بالبعض الآخر، وكتناول الفواكه والخضروات دون الغَسْل الجيّد لها قبل تناولها، وغير ذلك من العاداتِ السّيّئةِ التي تتناقلها الأجيال غير الواعية.

ولهذا كانت معالجة مشكلات الصّحّة والنّظافة هامّةً لبناء الأسرة بناءً سليماً، يُشارك جميعُ أفرادها بهذا الواجب الهامّ.

(١) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.